لازاريف

الكرد وكوردستان
عوامل تشكيل القضية

حەوشەی کتێب

من منشورات الحزب الاشتراكي الكردستاني - العراق

١٩٨٧

نشر هذا المقال في كتاب:
«المسألة القومية في دول الشرق المتحررة»
صدر عن دار النشر (العلم) سنة ١٩٨٦
من منشورات منظمة الشبيبة الكردستانية
الحزب الاشتراكي الكردستاني
منظمة الاتحاد السوفييتي

هه‌ولێر کتێب

الكرد وكوردستان
(عوامل تشكيل القضية)

مضى على ظهور القضية القومية الكردية على المسرح العالمي، واكتسابها طنين دولي أكثر من مئة عام، كانت وستبقى، لوقت طويل، عاملا مؤثرا في الحياة السياسية الداخلية والخارجية لدول الشرق الأوسط. وبدون أخذها بنظر الاعتبار، لا يمكن إجراء تحليل دقيق وشامل سواء للتاريخ الراهن، أو التكهن بمستقبل الدول الواقعة فيه.

بماذا يمكن أن تفسير هذه الحيوية المديدة للمسألة الكردية، حيث كانت هناك قضايا سياسية أكثر حدة في المنطقة ؟!

ان الأسباب التي أدت الى ظهور وتعقيد المسألة الكردية، لا زالت في الواقع تحتفظ بوجودها في الوقت الحاضر، في المقدمة بدون ريب، يحتل الظلم القومي الذي تحمله الشعب الكردي في تاريخه الطويل عبر القرون المرتبة الأولى قد يبدو أن الكرد في هذه المسألة لا يختلفون عن شعوب الدول المتحررة والتي لم تستطيع التخلص من الارث الاقطاعي والاستعماري من ناحية العلاقات القومية، وكما هو معروف فهذه الدول تسير على طريق التطور الرأسمالي.

ولكن الشعب الكردي بين هذه الشعوب يحتل مرتبة خاصة. تفسير ذلك يكمن في خصوصيات تاريخ الشعب الكردي.

والكرد الذين ينتمون الى عداد القاطنين القدماء جنوب غرب اسيا، ظهورهم على مسرح التاريخ معروف بفترة طويلة قبل ظهور الأتراك والعرب،

وهم مشاركين دائمين في الحوادث الفكرية والسياسية والثقافية البارزة في تاريخ الامبراطوريات المجيدة والدول الحديثة في ساحة الشرق الأوسط الواسعة . وبمنطق اخر فان الشعب الكردي كان وعلى مر القرون ليس فقط أداة مهم وانما عامل فعال في العملية التاريخية في ذلك الجزء من كوكبنا الذي يعتبر وبحق مهد الحضارة العالمية ويلعب دورا مهما في العلاقات الدولية .

إن الطريق التاريخي الطويل الذي قطعه الشعب الكردي ، يفسر بوجود السمة القومية عنده ، كما أن اثبات الهوية القومية لا يحتمل الجدل . وهذا ما يثبته معيار السمة السلالية التاريخية واللغوية والنفسية والثقافية ، وفي هذا المجال تحتل العوامل الجغرافية واللغوية مكانا بارزا . إن سكن شعب ما في منطقة محددة وعلى مر ثلاثة الاف سنة ووجود لغة خاصة به ، هما قاعدة مادية لثقافة غنية وأصيلة وبصورة خاصة الفلكلور والأدب المكتوب .

إن التقاليد الثقافية التاريخية الغنية والمستوى المتطور للسمات القومية للشعب الكردي تتباين بصورة مطلقة مع ظروفه السياسية الحالية ، وفي هذا تكمن جذور الموقع الحيوي الذي تحتله المسألة القومية الكردية بين المسائل القومية الأخرى التي لم يوجد لها حل في وقتنا الحاضر .

لم يمتلك الكرد طيلة القرون الماضية من حياتهم دولتهم القومية ، وأكثر من ذلك ، في كل الدول التي تدخل كردستان ضمنها لم يعترف للشعب الكردي بأي حقوق قومية حتى الوقت الراهن ، اذا كان هذا الوضع في العصور الباهرة ؟ طبيعيا . فانه في المرحلة الراهنة يكون شذوذا . وهذا السبب الرئيسي في أن القضية الكردية ملتهبة هذه الأيام .

ما هي خصائص القضية الكردية ؟ أي دور تلعب في الوضع غير المستقر للعالم الحالي ؟ من أجل الجواب على هذه الأسئلة ، لا بد من تعريف العوامل الرئيسية المكونة لهذه المشكلة ، والقادرة على تطورها في المرحلة الحالية المعقدة جدا .

○ العوامل الجغرافية :

الكرد يسكنون منطقة واسعة في جنوب غرب اسيا تسمى كردستان (أي وطن الكرد) المصطلح يحمل فكرة قومية جغرافية ذلك لأنه لم يكن وليس موجودا الآن باسم كردستان. ولكن منذ قرون عديدة وجدت كردستان. ظهر المصطلح إلى الوجود في القرن الثاني عشر، وفي الأدب ظهر بصورة مستمرة منذ القرن التاسع عشر.

ولكون كردستان لا تملك حدودا سياسية فإن من الصعوبة معرفة المساحة الجغرافية بصورة دقيقة فكل الأرقام ستكون تقريبية. تقع كردستان في وسط غرب اسيا، تقريبا بين خطي العرض الشمالي ٣٤ و ٤٠، وخطي الطول الشرقي ٣٨ و ٤٨، وتحتل الجزء الوسط من المستطيل الواقع في الشمال الغربي والجنوب الغربي بين البحر الاسود والبحر الابيض المتوسط، وفي الشمال الشرقي والجنوب الشرقي بحر قزوين والخليج الفارسي، المسافة بين الغرب والشرق تقارب ألف كيلو متر، من الشمال إلى الجنوب تتراوح المسافة من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ كيلو متر، مساحة كردستان أكثر من ٤٠٠ ألف كيلو متر مربع[١]. هنا ثمة توضيح لا بد منه بخصوص الناحية الجغرافية فمفهوم «المسألة الكردية»، لا يضم فقط قاطني ساحة كردستان وإنما أيضا العدد الهائل من الكرد الذين بسبب تقلبات الدهر (بصورة رئيسية التهجير القسري) اضطروا للسكن خارج كردستان (مثال ذلك عدة الاف من الكرد في محافظة خراسان). كل الاكراد غير الكردستانيين يعطفون على الحركة القومية الكردية، بعضهم يشارك فيها، ومع ذلك فإن للبعد الجغرافي وقعه.

إن التضارب في إحصاء مساحة كردستان يعود إلى كونها تحد مناطق سكنها أقوام قريبة من الكرد وليست مطابقة لها (اللور والبختيار في إيران)، ومناطق أقوام مختلطة (بصورة رئيسية في العراق وفي أذربيجان الايرانية). بصورة عامة ليست هناك خلافات مبدئية في تعين المساحة

ساسية لكردستان ، عليها جرت وتجري الحوادث التي تكون الجوهر محتوى الرئيسي للقضية الكردية .

منذ التاريخ كانت كردستان تحتل الجزء الحدودي بين دولتين أو ثلاثة لامبراطوريات الرومانية والبيزنطية والعثمانية والخلافة العربية وإيران) ، انت تدخل ضمن هذه الدول أجزاء منها في بداية القرن الرابع عشر تربت حدود روسيا القيصرية من القسم الشمالي منها بعد أن ضمت إليها د ما وراء القفقاس ، وبذلك أصبحت القلة من الأكراد الساكنين هناك واطنين روس .

بعد الحرب العالمية الأولى تغير الوضع الجغرافي السياسي لكردستان ي الجزء الشرقي والغربي المقسم بين تركيا (اسيا الصغرى) وإيران على اله ، في الجزء الشمالي أبعد الحدود الروسية قليلا بعد أن تخلت روسيا عن نطقة قارس لتركيا حسب معاهدة موسكو في ١٦ مارت عام ١٩٢١ . أما في جزء الجنوبي والجنوب الشرقي ، فقد حدث تغير كبير ، حيث وقعت هذه لاجزاء تحت الرقابة الاقتصادية والسياسية لانكلترا وفرنسا اللتين قسمتا يما بينهما الممتلكات العربية للامبراطورية العثمانية التي تفسخت بعد حرب العالمية الأولى ، ومن ضمنها العراق بما في ذلك سكانه الكرد وضع تحت الانتداب الانكليزي) وسوريا (تحت الانتداب الفرنسي) . بعد الحرب لعالمية الثانية طرد الاستعمار الانكليزي والفرنسي من العراق وسوريا ، أصبحت كردستان مجزأة بين أربعة دول ، واقعة على أطرافها .

وهكذا فإن كردستان بواقعها الجغرافي تدخل ضمن الحياة الداخلية العلاقات الدولية بكل من تركيا وإيران والعراق وسوريا . يكفي إلقاء نظرة على الخارطة لكي نفهم بأن الوضع في كردستان وفي أطرافها يخص لاتحاد السوفييتي مباشرة .

بالنسبة الى الدول الامبريالية الغربية فإن كردستان تمثل موقعا استراتيجيا مهما ، حيث تستطيع منها تهديد الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي ودول غرب اسيا التي تنتهج سياسة داخلية وخارجية تقدمية .

وفي هذا الصدد لا بد من الانتباه إلى خصائص السطح ، فكردستان بصورة عامة ذات تكوين أرضي جبلي ، تقريبا كل مساحتها الشاسعة تتكون من جبال أرمينيا (في تركيا) وسلاسل جبال زاكروس (في ايران والعراق) ان سلاسل الجبال (أكبرها أرمينيا الداخلية والشرقية وسلسلة جبل كردستان) تشق البلدين اتجاه العرض وإلى حد ما الطول ، لذلك فإن كردستان تبدو على شكل قلعة برية طبيعية واسعة ، صعبة المنال للماكنة الحربية البرية المتطورة . عدم وجود مخرج على البحر وعدم وجود أنهار صالحة لابحار السفن زادت من أهمية كردستان كموقع مهم من الناحية الاستراتيجية وخاصة الدفاع .

إن الجبال المكسوة بالغابات ووجود شعب ضيقة وملتوية والمناخ القارس خاصة في الشتاء البارد وكثرة الثلوج الساقطة ودرجات الحرارة المنخفضة ، تساعد على خوض نضال حرب العصابات . تجربة الانتفاضات الكردية العديدة في القرن التاسع عشر والعشرين ، ولا سيما الانتفاضات الاخيرة في العراق وايران تثبت بأن الجيوش المنظمة بأسلحتها الحديثة تفقد تفوقها في التدريب والاسلحة أمام الثوار الكرد الأكثر ملائمة مع الظروف الصعبة للمنطقة .

ان الثروات الطبيعية لكردستان لم تجلب الانتباه في الماضي ، ولكن أهميتها زادت في الفترة الاخيرة . ففي المقام الأول بطبيعة الحال يدور الكلام عن النفط ، حيث مخزونه في كردستان كبيرا جدا ، ومن أهم المناطق الغنية به هي حقول نفط كركوك (كردستان ـ العراق) الواقعة على القسم الجنوبي من زاكروس ويمتلك قيمة عالية[٢] . ويستخرج النفط في مناطق أخرى في كردستان ـ العراق ، ولكن بنوعية وكمية أقل (إلى الشمال من الموصل) ، أو في المناطق القريبة منه (منطقة خانقين) ويستخرج النفط أيضا في الجزء التركي (في المثلث كارزان ـ كيرمك ـ رمان) في الجزء الايراني (قرب كرمنشاه) وفي كردستان ـ السورية (في الشمال الشرقي من البلاد) . النفط الكردستاني يمتلك قيمة اقتصادية هائلة لذا فهو عامل سياسي على مسرح الشرق الأدنى وحتى العالمي . وللنفط الكردستاني خصائصه المميزة .

○ الخاصية الأولى : يكمن في انخفاض أسعار الاستخراج والنقل وخاصة

في حقول كركوك . إن إنتاجية ينابيع النفط في كركوك الذي ينبعث تحت لضغط الهائل لا يوجد لها مماثل في العالم الرأسمالي من (٥) إلى (١٠) لاف طن في اليوم . إن المقياس العالمي في استخراج النفط من المتر لواحد للينابيع المثقبة يعود إلى كركوك ٣٣٠٠ طن مكعب . حسب مصادر واسط الستينات كان سعر البرميل الواحد من النفط في العراق ٢ . ٤ سنت (في أمريكا ١٥١ سنت ، في فنزويلا ـ ٦٣ ، في الكويت ـ ٨ . ٩ ، في العربية لسعودية ـ ٥ . ٩ سنت) . ونقل نفط كركوك أقل تكلفة حيث يتم نقله بواسطة لأنابيب إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط (بالمقارنة مع نفط الخليج لفارسي الذي ينقل بواسطة البواخر إلى مشتريه عبر قناة السويس أو حول رأس الرجاء الصالح) .

الخاصية الثانية : تكمن في أن النفط الكردستاني يعتبر بالنسبة إلى تركيا وسوريا المصدر الوحيد للوقود المستخرج في هذين البلدين ، وبالنسبة إلى العراق مصدر مهم (في الماضي القريب قبل استثمار حقول النفط قرب البصرة ، وكذلك في وقت الحرب الإيرانية ـ العراقية ، كان المصدر الوحيد) . وأخيرا فان نفط كردستان يقع بمحاذاة أكبر حقول « الذهب الأسود » في العالم الرأسمالي ألا وهو حقول النفط في الخليج الفارسي . ومن هنا فإن أي تغير يتعلق بالنفط في الخليج الفارسي سيؤثر بشكل من الأشكال على النفط الكردستاني والعكس بالعكس . كما لا يمكن التغاضي عن الثروات الطبيعية الأخرى في كردستان ، مثلا في كردستان ـ تركيا يجري التنقيب والاستعداد لاستخراج خام الكروم (الذي يملك أهمية عالمية) والحديد والنحاس .

المصادر الطبيعية لكردستان تعطي امكانيات جيدة لتطور الغابات والزراعة والثروة الحيوانية (وخاصة وجود المراعي الممتازة الكثيرة تساعد على تطوير وتربية المواشي) .

وأخيرا فان موارد الطاقة الكهربائية تمثل احتياطي اقتصادي هائل . على الاراضي الكردستانية تجري اثنان من أعظم أنهر الشرق الأوسط دجلة والفرات إلى جانب عشرات الأنهر الأقل أهمية منهما ، كل هذه الأنهر لا تجري البواخر في مجراهم الشمالي الجنوبي ولكن نظرا لظروف الطبيعة

الجبليـة فإن موارد كهربائيـة هائلـة تكمـن في باطنهـا . حسب رأي الاخصائيين ، فإن كردستان ـ تركيا تستطيع اعطاء ٩٠ مليار كيلو واط في الساعة . وكذلك بحيرتي «وان» و «أروميا» (المالحتين) أكبر بحيرات جنوب غرب اسيا تملكان أهمية اقتصادية كبيرة .

○ العوامل الاثنوديموغرافية :

من الناحية الاثنوديموغرافية كردستان لا تختلف كثيرا عن مناطق الشرق الأخرى ، رغم أن الظروف الطبيعية الجبلية التي تجعل الكثير من مناطقها غير الملائمة للعيش الدائم ، فان البلد يحوي الكثير من الوديان الخصبة الدافئة المروية . في الوقت الحاضر ، حسب الاحصائيات غير الرسمية نفوس كردستان يقارب ٢٠ مليون ، وهذا يعني أن كثافة السكان هي ٤٥ شخصا لكل كيلو متر مربع (مميز خاص لكل اسيا)[٥] . الارقام الواردة لا تضم الكرد فقط بل على الشعوب القاطنة في كردستان . وفيما يخص الكرد فان العدد الاجمالي ٣٠ مليون يضم الكرد الساكنين ليس فقط كردستان وانما كل مناطق جنوب غرب اسيا القريبين والبعيدين عنها . وهكذا فان الكرد من أكبر الشعوب التي تفتقد حقها في تقرير المصير (باستثناء ما يقارب ١٥٠ ألف كردي سوفييتي) .

بطبيعة الحال عامل عددي واحد لا يحل أهمية المسألة الكردية من الناحية الاثنوديموغرافية ، الأهمية القصوى يمثل العلاقات القومية الداخلية في كردستان والمناطق الملاصقة لها ، وهي معقدة ولم تتضح إلى الآن وتتعلق بالكرد والشعوب التي تعيش معهم ، قبل كل شيء الصعوبة تنبثق من التشابه السلالي بين الكرد أنفسهم . حيث يعد الكرد من الشعوب المجزئة ، يعني ذلك أن أراضيهم مقسمة بحدود دولية . التطور القومي حدث في ظروف غير ملائمة وخاصة من ناحية تواصل عملية التكامل ، المحور الرئيسي لكل تراص ، وتوحيد قومي ، بمعنى اخر الجامعة القومية حتى طرازها العالي المتمثل في الأمة بين الاقوام القريبة والمتشابه ؟ لذا فإن الفروقات السلالية للاقوام الكردية العائشة في الدول المختلفة ، تختلف بصورة واضحة . قبل كل

شيء يختلف الكرد بدلائل اللغة . كما يحسب فان ٦٠ ٪ من الاكراد (القسم الشمالي والغربي وجزء من وسط كردستان) يستعملون اللهجة الكرمانجية . ٣٠ ٪ (جنوب وشرق كردستان) اللهجة السورانية . (أحيانا يسمى الكردية أو الموكريانية) والبقية يتكلمون اللورية والبختيارية[٦] . في الواقع أن فروقات اللغة عند الشعب الكردي كبيرة . حيث هناك مئات الوف من الكرد العائدين الى الطائفة الشيعية (أهل الحق)[٧] القاطنين في تركيا بصورة رئيسية في ولاية « تونجيلي » وفي ايران في منطقة كرمنشاه يستعملون اللهجة الزازائية (في تركيا) والقريبة منها كوراني (في ايران) المختلفتين كثيرا عن الكرمانجية والسورانية[٨] . غير أن هذه الفروقات اللهجوية ليست كبيرة إلى الدرجة التي يصعب التفاهم بها عند الاختلاط . والكرد أنفسهم لا يعطونها أهمية كبيرة ، ولا يعترفون بصورة قطعية بأي دور للهجات في التقسيم القومي . علاوة على ذلك فان الكرد وخاصة المتعلمين منهم أو المهاجرين الى المدن يستطيعون النطق بلهجات اللغة الكردية ولغة الدولة العائشين فيها (تركي ، فارسي ، عربي) . ومع ذلك فان الحواجز اللغوية في المحيط الكردي تبقى كعامل ثقافي -لغوي وذو أهمية سياسية .

ومن ناحية الثقافة القومية يوجد بعض الفروقات الواضحة عند الكرد ، وهنا تلعب المعتقدات الدينية الدور الرئيسي كما هو حاصل عند الشعوب الاسيوية ، حيث يكمل في داخلها الثقافة الروحانية والطبيعة الحياتية . الاكثرية الساحقة من الاكراد مسلمين سنه ، والاقلية شيعه (بصورة رئيسية الاتجاه المتطرف في الشيعة -طائفة أهل الحق) وأخيرا ما يقارب ٢٠٠ الف يزيدي وهو دين مستوعب من بعض المعتقدات الشرقية القديمة .

اليزيدية باعتقاد بعض الاخصائيين هو الدين الأصلي للأكراد[٩] .

حسب بعض الاحصائات ٧٥ ٪ من الكرد يعتنقون المذهب السني بصورة قطعية[١٠] . التنابذ الديني بين السنة والشيعة الكرد لا يزال موجودا ، ويغذي ذلك الحقد القديم عند السنة للشيعة وخاصة اتجاهه المتطرف (طائفة أهل الحق وعلى الاهي) الذي يمجد بخليفة الرابع والامام الأول للشيعة ، ويضعونه

فوق الرسول محمد نفسه . وهذا ما يلاحظ في تركيا ثمة فئة غير السنية (العلوية) يتراوح ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ٪ من الشعب الكردي.

وبمقام أكبر تبقى الحواجز بالنسبة إلى اليزيديين وطريقة حياتهم التي تبعث النفور والاشمئزاز من قبل المسلمين على اختلاف مذاهبهم . وهذا النفور عائد إلى حد ما إلى غرابة وعدم معرفة المعتقد اليزيدي ، بسبب سريته . وليست صدفة في السابق والآن (أحيانا الكرد الزاز) لا يتطابق ولا يتشابه مع بقية الأكراد .

وأخيرا فان الكرد السنيين ليسوا متوحدين في معتقدهم الديني فالمبادىء الاسلامية وطرقها الروحية لم تخترق الجذور العميقة لدى جماهير الشعب الكردي ، كما يكتب العالم الروسي المتخصص في شؤون الكرد نيكيتين ف . ب . (في الواقع ، التقاليد والمعتقدات المأخوذة من جيل الى جيل تبقى أكثر قربا منهم ، بدلا عن الاقرارات الرسمية)[١١] . هناك مثل تركي شهير (مقارنة مع الكافر الكردي أيضا مسلم) . ومن هنا هذه الوصفة المميزة للحياة الاجتماعية ـ الدينية للاكراد ، والانتشار الواسع لطرق الدروشة ، تحت غطاء الاخوية الصوفية الدينية ـ من أكثر الطرق انتشارا في كردستان الطريقة النقشبندية والقادرية ـ وهي تخفي في الحقيقة ـ منظومة اجتماعية دقيقة للمجتمع الكردي التقليدي .

ان الفروقات الاجتماعية والدينية في وقتنا الحاضر لا تملك عند الشعب الكردي أهمية كبيرة ، وخاصة عندما يتعلق الأمر بتوحيد القوى من أجل النضال القومي . ومع ذلك فانها تبطىء عملية التجميع القومي للشعب الكردي ، وتستغل من قبل أعداء حركته الهادفة إلى حق تقرير المصير من الداخل والخارج .

مسألة تشابه الأقوام الكردية تثير الشغف والولع السياسي ، وخاصة احتساب الأقوام القريبة من الكرد مثل اللور والبختيار القاطنين على أطراف جنوب شرق كردستان .

ليس هناك شك في التشابه والتقارب بين الكرد واللور والبختيار ويدل على

ذلك المميزات الجنسية الوراثية واللغوية والثقافية التاريخية . واعتمادا على اساس التقاليد التاريخية التي تثبت التطابق بين الكرد واللور والبختيار مع وجود فوارق طفيفة[١٢] . فهناك تعارضات جدية ، قبل كل شيء التقارب والتشابه لا تعني التطابق . يلاحظ فوارق جدية في ـ اللغة (اللهجات اللورية والبختيارية اقرب الى الفارسية) ـ الثقافة (مستوى الثقافة العامة عند اللور والبختيار اوطىء مما عند الاكراد) ـ والدين (اكثرية اللور والبختيار شيعه عقادين والاقلية « على الاهى ») . والاهم من كل ذلك فان اللور والبختيار لم يشاركوا مشاركة فعالة في الحركة القومية الكردية ، مع العلم انتفضوا عدة مرات في كفاح مسلح من اجل مطاليب قومية صرفة عائدة لهم . كل هذا يدل على عدم التطابق بين هذه الشعوب والكرد[١٣] .

مسألة كون اللور والبختيار أكراد أم لا لا يمكن اعتبارها محلولة . وقد دار الحديث عن الوضع الحالي ، حيث من الصعب التكهن اتجاه التطور التكويني القومي لهذه الشعوب . سيتعرضون للصهر القومي الكردي او الفارسي او سيتبعون طريق التطور القومي الذاتي ، يتعلق بعوامل كثيرة من الصعوبة معرفتها الان . بدون شك فان عملية التطور القومي في القسم الجنوبي الشرقي من كردستان مستمرة بقوة ، اتجاهاته ومساره سيكون لها نتائج سياسية . يكفي ذكر عدد الافراد المشاركين في هذه العملية (لور ـ أكثر من ١ . د مليون ، بختيار ـ أكثر من ٦٠٠ الف)[١٤] . والمنطقة التي يسكنوها منطقة استراتيجية ، تطل على أهم نقطة حساسة في منطقة الشرق الأوسط ، الا وهي الخليج الفارسي .

المسألة القومية في اطار موضوعنا تملك وجهتين : الوجهة الأولى عامة ـ المسألة القومية الكردية في البلدان التي يعيشون فيها الاكراد ، والوجهة الثانية خاصة ـ العلاقات القومية في داخل كردستان .

يعتبر الكرد من أكبر الأقليات القومية في منطقة جنوب غرب اسيا ، تقريبا في كل البلدان التي يعيشون فيها (عدا ايران حيث يقل عددهم عن الاذربيجانيين ، ولكن حركتهم القومية أكثر فعالية من القوميات الاخرى في

البلد) . عدد أكراد تركيا لاحصاء عام ١٩٧٠ يقارب ٨ . ٢٣ ٪ من مجموع سكان البلد (ما يقارب ٥ . ٨ مليون) . في ايران احصاء عام ١٩٧٥ ـ ١٦ ٪ (حوالي ٢ . ٥ مليون) . العراق احصاء عام ١٩٧٥ ـ ٢٨ ٪ (١ . ٣ مليون) . سوريا احصاء عام ١٩٧٦ ـ ١١ ٪ (٨٢٥ ألف)[١٥] . قد تكون هذه الارقام مبالغ فيها (أعتقد أضيف الى أكراد ايران اللور والبختيار) وأمور أخرى غير دقيقة (هذه الاحصائات تقريبية وليست رسمية) . ومع كل ذلك أنها تظهر الواقع العام بصورة صحيحة . حيث أن عامل سكن عدة أقوام في داخل دولة واحدة سيكون مسببا بدون شك لمشاكل جدية .

إن الكرد بصفاتهم القومية يختلفون عن الأمم السائدة في الدول التي يعيشون فيها اختلافا بينا . وهذا الاختلاف واضح من ناحية : ـ اللغة (وخاصة في تركيا والعراق وسوريا) ـ الدين (في ايران والى حد ما في العراق وتركيا) ـ العلاقات الاجتماعية (وخاصة في ايران والعراق حيث العلاقات القبلية عند الكرد لا زالت قائمة الى حد ما) ـ الطبيعة النفسية والتقاليد الاجتماعية ، وأخيرا مستوى التطور الاقتصادي والثقافي (في المناطق الكردية أقل مستوى مما هو عند العرب والفرس) . وهذه الاختلافات هي المعوق الرئيسي لعدم مقدرة الفرس والترك والعرب على صهر القومية الكردية وسيكون ذلك سببا للخلافات القومية الأخرى بينهم . ان وجود مناطق قومية محددة للكرد في الدول التي يعيشون فيها ستفاقم هذه المعوقات (والتي من الممكن ازالتها) وتجعل الخلافات القومية أكثر حدة .

الوضع القومي والاثنوديموغرافي في الدول التي يعيش فيها الكرد وفي داخل كردستان يمتاز بسرعة التبدل والتغيير . ان اعداد النفوس ومناطق سكن الكرد تغير ويتغير حسب عوامل وقتية ودائمية . الاول كان يحدث بسبب نتائج اقتصادية وسياسية ، والثاني طبيعية (مثل زيادة السكان ونقصه) . دور هذه العوامل في المراحل التاريخية كان مختلفا ، مثلا في السابق كان الكرد غالبا ما يتعرضون للابادة الجماعية والتهجير القسري الذي أدى الى تغير مناطق سكناهم (من ضمنها التهجير الى خارج كردستان) . وتقليل عددهم السكاني (كما أن المرض والجوع في ذلك الوقت أديا نفس الدور) .

في المرحلة الراهنة تناقص تأثير الوضع المتطرف على الحالة الاثنوديموغرافية الكردية ، بالرغم من وجوده خاصة في مناطق نهوض الحركة التحررية الكردية (كردستان - الايرانية والعراقية) . فيما زاد تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على الوضع الاثنوديموغرافي حيث يلاحظ زيادة السكان بصورة سريعة ومستمرة ، وهذه الزيادة في كردستان - تركيا توازي ٢,٨٨ ٪ مقابل ٢,٦٥ ٪ في تركيا[١٦] . بالنسبة الى الاجزاء الاخرى من كردستان لا توجد معلومات دقيقة ، ولكن من الممكن التكهن ، بأن هناك ايضا يحتفظ بمستواه العالي . أحد الاخصائيين يطرح فكرة حول هذا الموضوع مفادها ، في كردستان - العراق (يجري بصورة سريعة مذهلة ويتطابق مع التسمية الواردة في الادب « الانفجار الديموغرافي »)[١٧] . لا بد من ذكر ميزة أخرى للوضع الاثنوديموغرافي في (المنطقة الكردية) . وهو انعدام التوزيع المتساوي للكرد في الدول التي يقطنوها . حسب إحصاء تقريبي لسنة ١٩٦٥ في تركيا يعيش ٩ ,٤٦ ٪ من كل الكرد ، في إيران ٢ ,٣١ ٪ ، في العراق ٩ ,١٥ ٪ ، في سوريا ٥ ,٣ ٪ ، في الاتحاد السوفييتي ١ ٪ ، في الدول الاخرى ٥ ,١ ٪ ، يوجد أرقام أخرى ، ولكنهم يختلفون قليلا عما ورد[١٨] ! وهذه الميزة العددية تبين مدى ثقل دول الشرق الاوسط في القضية القومية الكردية من جهة ، والقضية الكردية لهذه الدول من جهة أخرى .

كردستان - اقليم يضم قوميات عديدة بالاضافة الى الغالبية العظمى للكرد ، منذ القديم تسكنه أقوام أخرى حيث يعتبرون الأقلية مقارنة مع الكرد . حسب معلومات واتلي ، المؤيد للنظرة القصوى في موضوع الاحصائيات الكردية ، لعام ١٩٦٥ كان تعداد الكرد في كردستان ١٤ ,٨٧ ٪ من مجموع السكان ، وبضمنهم في كردستان - تركيا ٨٤ ٪ ، في إيران ٦٤ ,٨٨ ٪ ، في العراق ٥٧ ,٩١ ٪ ، في سوريا ٧٥ ,٩٣ ٪[١٩] . حسب معلومات حسني العائد لعام ١٩٦٩ كانت النسبة في كردستان - التركية والايرانية والعراقية كالتالي : ١ ,٧٢ ٪ ، ١ ,٧٨ ٪ ، ٨ ,٧٨ ٪[٢٠] . وعلى كل حال فإن الغالبية وبدون شك للكرد .

وبالنسبة الى عدد ونسبة سكان الاقليات القومية الاخرى في كردستان فهناك صعوبة بالغة في تحديدها ، وذلك لانعدام معلومات بهذا الخصوص ، لذا يقوم المضطلعون بوضع تقديرات أكثر قبولا وأكثر ملائمة مع الواقع ، ففي كردستان ـ تركيا أكثر الاقليات القومية الصغيرة بدون شك هم الاتراك يليهم العرب والآشوريون (جنوب شرق الاناضول) . العرب هم الطاغين بين الاقليات القومية في كردستان ـ السورية والعراقية ، وبعدد أقل الآشوريون والتركمان . وفي كردستان ـ الايرانية يقطن الفرس (في كل مكان من كردستان) والاذربيجانيين (بصورة رئيسية في الشمال) كذلك العرب وبعض القبائل التركية (في فارس وبعض محافظات جنوب غرب ايران ، بدون حساب اللور والبختيار) . المناطق الجنوبية من كردستان ـ الايرانية هي أكثر اختلاطا في التشكيل القومي .

الخاصية الرئيسية للوضع الاثنوديموغرافي في كردستان هي التغيرات التي تجري تحت تأثير العوامل السياسية الداخلية والعمليات العسكرية بصورة رئيسية . في الماضي القريب كان التشكيل القومي في شرق الاناضول غير ما هو الآن . كان هناك الكثير من الارمن ، نتيجة لعمليات الابادة الجماعية من قبل سلاطين تركيا ، أخذ العدد في التناقص السريع ، نتيجة للتطرف الدموي ابان الحرب العالمية الاولى والسنين التي تلتها اختفى كليا العنصر الارمني في المنطقة المذكورة . كما لحق الآشوريون قاطني جنوب شرق الاناضول نفس المصير . بهذا تغير توازن التشكيل القومي في صالح الكرد رغما عن أن الاخير لم ينجو من التغير . بعد سحق الكماليين للحركات القومية الكردية في سنوات العشرينات والثلاثينات من القرن الحالي ، ثم تهجير أعداد كبيرة من الكرد الى المناطق القريبة من اسيا الصغرى ، وتم سكن الاتراك والذين أكثرهم من أصول البلدان البلقانية (المهاجرين) الواصلين تركيا حسب اتفاقيات تبادل السكان ، في مناطق شرق الاناضول ، نتيجة لذلك زاد العنصر التركي في كردستان ـ تركيا ، حيث أصبح أكبر الاقليات القومية الصغرى من بين الاقليات القاطنة كردستان ، كما أن العنصر الكردي انتشر خارج كردستان ، حيث من اليسير هناك تعريضها لعملية الصهر القومي .

تغير التركيب القومي في كردستان لا يزال مستمرا في وقتنا الحاضر، ولكن بمقياس أقل، وهذا ما يلاحظ في أجزاءها. التي تمتاز بقوة الحركة القومية. حيث تحاول السلطات الحاكمة بواسطة القوة زيادة سكان الامة السائدة. حسب معلومات حسني في كردستان - العراقية منذ الحرب العالمية الاولى والى بداية السبعينات انخفضت كثافة السكان بنسبة ٥. ٤ ٪، وازداد العرب بنسبة ٥. ٧ ٪ (٢١). وبصورة أكبر جرت سياسة تبديل السكان الكرد بالعرب في العراق في السبعينات. في كردستان - السورية ومنذ عشرين سنة تتبع السلطات السياسية (الحزام العربي) حيث يتم تبديل السكان الكرد بالعرب في المناطق الحدودية مع تركيا والعراق (٢٢).

على هذا الأساس، رغما عن أن الكرد هم الغالبية العظمى. فان التركيب القومي في كردستان. قد يساعد على إيجاد تناقضات قومية داخلية. وهي الان تلعب دورا ثانويا. لا تستطيع تبديد التناقض الرئيسي بين الكرد والفئة الحاكمة من الأمة السائدة.

○ العوامل الاقتصادية والاجتماعية :

ان القاعدة الاقتصادية والاجتماعية لكردستان هي مشابهة لتلك الموجودة في كل من تركيا وايران والعراق وسوريا.

وتمتاز المناطق الكردية في تلك الدول بانخفاض مستوى تطور العلاقات الاجتماعية، وأسلوب التنظيم الاجتماعي للمجتمع. كما أن الاقتصاد الوطني والثقافة العامة هي دون مستوى التطور في تلك البلدان. ويعود ذلك للظروف غير الملائمة للتقدم التي أحاطت الشعب الكردي على مر القرون المريرة: حروب بدون نهاية، قمع دموي للانتفاضات والثورات العديدة المؤدية الى اخلاء وتخريب البلد وانخفاض القوة الانتاجية، وكسوة التجارة البرية بين أوروبا واسيا وخاصة بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩. وأهم من كل ذلك عدم وجود دولة قومية خاصة بالأكراد وهو شرط أساسي لكل تقدم.

ان من أهم المميزات القديمة للتنظيم الاجتماعي للمجتمع الكردي، هو

استمرار وجود العلاقات القبلية التي تخفي تحت ستارها نظاما اقطاعيا خاصا ، وهذا التنظيم الاجتماعي الذي تكرسه التقاليد التاريخية التي يخترق تركيب المجتمع الكردي ، بسمات خاصة ولا يمكن حجبها ، تضع بصماتها على الحياة العامة للشعب الكردي وعلى كل فرد كردي . بالنسبة الى الكردي الانتساب الى القبيلة المعينة ذو قيمة أولى ، تسبق وعيه القومي والديني . مما قيل سابقا يمثل التركيب المجتمعي الكلاسيكي للشعب الكردي . في الوقت الحاضر نتيجة للتطور الحاصل حدث تغير هائل ، حيث أن اضمحلال تشكيلة التراكيب الاجتماعية التقليدية تجري داخل الحياة الكردية أيضا . في مناطق كثيرة من كردستان دخل النظام الرأسمالي الحياة العامة ، واضمحل زمن العلاقات القبلية . إن خرق النظم التقليدية ، جار على قدم وساق في كردستان ـ تركيا ، حيث الهجرة الجماعية من القرى والارياف الى المدن للبحث عن العمل ، كذلك الهجرة الى بلدان السوق المشتركة تجري بصورة مستمرة . هناك الكثير من المناطق في كردستان ـ الايرانية والعراقية لا زالت تحتفظ بالعلاقات القبلية ، في لورستان وبختياري هي المسيطرة والغالبة . وعلى هذا فان العلاقات الاجتماعية في أجزاء كردستان مختلفة .

بصرف النظر عن مستوى استمرار العلاقات القبلية داخل اطار النظام الاقطاعي في أجزاء كردستان المختلفة التي تعكس صورة التاريخ الاجتماعي السابق فان الفصل الطبقي يخترق المناطق النائية من كردستان ، حيث ينخفض التأثير الاقتصادي والسياسي للاكراد الاقطاعيين الدنيويين والروحانيين ، وتتولد البرجوازية القومية الكردية ، أولا التجارية وبعدها الصناعية . وظهور ملاكين يتبعون أساليب الزراعة الرأسمالية ، وتنمو الفئة الوسطى ، وأخيرا يبدأ بالظهور الكادر البروليتاري .

إن تطور مناطق كردستان ـ تركيا وإيران والعراق وسوريا على الطريقة الرأسمالية ، يشكل قاعدة اقتصادية واجتماعية ، تساعد على تقوية الموقف القومي الكردي سياسيا وأيديولوجيا ، وهذه العمليات لا تخرج بأهدافها السياسية عن الإطار البرجوازي ، حيث تعبر في الوقت نفسه عن المصالح

العامة ، ولذا وبدون شك فهي تقدمية .

ان بقاء بعض التقاليد البائدة ولو بشكل رواسب عند الكرد سيكون له تأثير سلبي على مجمل الحركة القومية الكردية .

تتكون الطبقة العليا في المجتمع الكردي الحالي من الاقطاعيين السابقين الدينيين والعلمانيين والذين يحوزون قطاعات من الاقتصاد الوطني ولهم تأثير سياسي على قطاعات واسعة من الكادحين . كما يوجد بين قيادة الحركة القومية الكردية الكثير ، من القادة الديمقراطيين وقادة يساريين : البرجوازية الديمقراطية ، والثوريين الديمقراطيين وحتى من أنصار الماركسية - اللينينية وأكثر من ذلك فلهؤلاء القادة دور كبير في مصير الحركة .

يستمر الدور السياسي والأيديولوجي للاقطاع ، والتقاليد السائدة ، مثل الاختلافات الدينية ، واقتتال الأحزاب ، وخرافة الفئات الحاكمة « الموروثة » ، وتقديس الزعماء الدينيين والعلمانيين ، ولهذا تعود هذه السلبيات السائدة في الحركة كسياسة غير مبدئية وغير مستقرة والسبيل إلى الرضوخ للاقتتال الجانبي ، وخيانة بعض القادة ، وتفضيل المصلحة القبلية على المصلحة العامة ، الاطاعة العمياء للزعماء التقليديين حتى ولو انتفضوا من أجل مطالب رجعية وهكذا . ليس لكل التقاليد في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية دور رجعي ، بعض التقاليد وإن هي مغطاة بكساء ديني لعبت دورا مشرفا من أجل الاستقلال (وعملت) ضد الاستعمار والامبريالية وعملائهم في المنطقة . ومع ذلك فالحركة الكردية لها ثقلها في العملية الثورية الراهنه في منطقة البلدان النامية ، ورغم أن الرواسب التاريخية للتقاليد البالية تعرقل تطور الحركة التحررية الكردية .

إن التخلف الحاصل في العلاقات الاجتماعية الحالية في كردستان وجد على قاعدة اقتصادية قديمة ، وندرة الانتاج ، حيث يحمل في أحشائه مميزات التخلف ، وانخفاض قوة إنتاج المجتمع والمستوى المعيشي المتدني للكادحين . ويمتاز الاقتصاد التقليدي الكردستاني باستمرارية هذه الأزمة التي بدأت منذ النصف الثاني من القرن الماضي ، كما انخفض إنتاج المواشي

الرحل (توجيه الحيوانات حسب الفصول، بصورة رئيسية (عمودي) في الصيف إلى المراعي الجبلية، في الشتاء إلى الوديان)، وهي القاعدة التقليدية لاقتصاد القبائل الكردية، أما تحديث أساليب الزراعة وتربية المواشي فلم يبدأ إلى الآن. والصناعة في كردستان متخلفة، ولا تستطيع ضمان العمل للفلاحين وأصحاب المهن. العاطلين عن العمل ومدخر للحياة يتوجهون صوب المدن وخاصة إلى مدن الدول التي يعيش فيها الكرد وإلى الخارج، ذلك لأن مدن كردستان قليلة المصانع. يعمل الأكراد هناك عادة في أعمال غير مهنية، وذلك لانخفاض المستوى التعليمي لهم مما يعرضهم لاستغلال شديد. مثلاً كردستان -تركيا تحتل ٣٠ ٪ من المساحة الكلية لتركيا وخمس نفوس البلد، ١٩ ولاية يقطنها الأكراد، في أواسط الستينات أعطوا ٧, ١٠ ٪ من المنتوجات الزراعية الكلية لتركيا. ويتواجد في كردستان مقارنة مع تركيا ٥, ٤ ٪ من محطات الحاصدات، ٥, ٦ ٪ من السيارات، ٩ ٪ من بنوك، ٧, ١٨ ٪ من الطرق، ١٠ ٪ من المزارع الحكومية، ٧, ٢ ٪ من أصحاب المزارع الخاصة، ٢, ١٤ ٪ من المكائن، ١, ٤ ٪ من المحركات الكهربائية، ٢, ١ ٪ من المولدات الكهربائية[٢٣]. حسب هذه المعلومات يتكلم وانلي عن استغلال كردستان من قبل (الجزء التركي من تركيا) هذا الاستغلال تعاني منه ليس فقط طبقة الكادحين وإنما الفئة الوسطى والعليا من المجتمع الكردي، (الرأسمال الكردي) يصدر إلى الجزء التركي من تركيا، المعلمين والمهندسين لا يستطيعون إيجاد العمل في (منطقة المحنة)، ويرحلون من الولايات الشرقية[٢٤]. كما أن الأجزاء الإيرانية والعراقية من كردستان هي الأخرى مناطق متخلفة. دخل الفرد في كردستان -الإيرانية في سنة ١٩٧٥ كان ١٥٠ دولاراً مقابل ١٣٤٠ دولار دخل الفرد في إيران. ويخترق كردستان -إيران طريق حديدي واحد يربط إيران بتركيا وطريق بري واحد من الشمال إلى الجنوب، والطريقان يمتلكان أهمية استراتيجية. على حد قول العالم الكردي والسياسي المعروف عبد الرحمن قاسملو في إيران المتخلفة كانت كردستان أكثر تخلفاً[٢٥].

للمناطق الكردية في العراق يصرف من ٧ إلى ١٢ ٪ من مجموع الإنفاق

على تطوير البلد، ومن مجموع ١٥٠ مشروع صناعي يبنى في العراق ٤ منها فقط في المحافظات الكردية. بالرغم من أن المواد الخام أكثرها تقع في كردستان (مثلاً صناعة الفلزات، عدا حقول نفط كركوك). شراء التبغ - الذي يعتبر من أهم الصادرات الزراعية وينتج فقط في كردستان - العراقية - ونظم كل هذه الأمور بحيث يبقى القسم الأكبر من الأرباح في المنطقة العربية من العراق. وانلي يسمي هذا النظام (الاستعمار الداخلي)[٢٦].

في الحقيقة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية كل العلاقات تدل على الاستغلال الاستعماري للأراضي الكردية من قبل الفئة الحاكمة للأمة السائدة الذين يمثلون مباشرة أو بأسلوب غير مباشر المصلحة المادية لبرجوازيتهم الآخذة في النمو. كما أن تخلف كردستان هو نتيجة لهذا الاستغلال. حيث المناطق الكردية تتطور بمستوى أقل بكثير من المستوى الذي تتطور فيه مناطق الأمم السائدة. وهذا ما يلاحظ بقوة في كردستان - العراقية والإيرانية، حيث أنهم في السنوات العشر الأخيرة لم ينالوا أي فائدة تذكر من تدفق أموال الدولار النفطي (البترودولار) إلى منطقة الشرق الأوسط نتيجة الارتفاع المتكرر لسعر النفط[٢٧].

إن الحالة الاقتصادية للبلدان التي يقطنها الأكراد مختلفة، وهذه بدورها تترك بصماتها على المحافظات الكردية. حتى بداية عام ١٩٧٠ كان التطور الاقتصادي في كردستان - تركيا يجري بصورة سريعة كما حدث في تركيا ككل. وفي بداية الستينات أصبحت إيران وبقوة مذهلة تلحق تركيا من ناحية التطور الاقتصادي، حيث جرت تغيرات اقتصادية واجتماعية تقليدية. منذ ارتفاع أسعار النفط في العالم كافة كل إيران والعراق وبعدهما سوريا في موقف اقتصادي قوي. في الوقت نفسه فإن المناطق الكردية الواقعة على أطراف سوريا والعراق وكذلك إيران. استفادت قليلاً من تدفق الدولار النفطي.

وعلى هذا الأساس من الممكن أن نستخلص ميزتين للوضع الاقتصادي والاجتماعي لكردستان الحالي: بصورة عامة مستوى منخفض حتى

بالمقارنة مع الدول التي يعيش فيها الكرد . وعدم التساوي في التطور في أجزاءها المختلفة . وهذا يؤثر سلبيا على تجميع وتوحيد الشعب الكردي ، وعلى فعالية نضاله السياسي من أجل حقوقه القومية .

○ العوامل السياسية الداخلية :

كردستان - منطقة حادة التوتر بسبب تشابك الخلافات الاجتماعية والقومية . ويفسر ذلك الخصائص التالية للتركيب القومي والسياسي والاجتماعي للبلد :

□ **أولاً** - كردستان بلد شديد التباين والتضارب من الناحية الاجتماعية ، حيث الوضع المادي للكادحين في مستوى منخفض جداً ، وهذا ما يؤدي إلى أسلوب حياتي بدائي . وهذه بعض المعلومات عن ذلك : في سنة ١٩٧٠ في كردستان - تركيا كان عدد الأطباء حسب نسبة السكان كالآتي : طبيب واحد لكل ١٠ الاف نسمة ، في الوقت نفسه ٣ . ٤ طبيب لكل ١٠ الاف نسمة على مستوى عموم تركيا[٢٨] . في كردستان - الإيرانية سنة ١٩٦٦ ، طبيب واحد لكل ٤٨٠٠ نسمة ولكن توجد مناطق تعداد سكانها ٢٠ ألف ولا يوجد لهم طبيب واحد[٢٩] . في تلك السنة أكثر من ٥٠ ٪ من كل العوائل الكردستانية - الإيرانية ضمتهم غرفة واحدة وأكثر من ٨٠ ٪ من البيوت مصنوعة من الطين . وأكثرية السكان محرومون من مياه الشرب والكهرباء[٣٠] .

تحسين وضع إثراء بعض فئات السكان يوازي إفلاس وإفقار فئات أخرى ، وخاصة المعدومة منها كل هذا يؤدي إلى مراكمة عوامل الالتهاب في كردستان ، وتكوين قوة اجتماعية فعالة محتجة ومعارضة .

□ **ثانياً** - إن شكل الاحتجاج يأخذ طابعا قومياً وليس حركة اقتصادية - اجتماعية ، أي أن العلاقة المتولدة على أرضية اجتماعية تتحول إلى موضوع قومي . وهنا تلعب الرواسب القبلية دورها ، حيث أن الفئات المتمتعة بالسلطة عن طريق التعاطف الخادع مع الفئات المحرومة تحاول إنكار الخلافات الطبقية في المجتمع الكردي ، تبرر الحياة القاسية التي يعاني منها

الكادحين على الآخرين ، وبسبب التركيب القومي في كردستان ومنذ القديم ينعدم وجود الكفاح الطبقي عند الكادحين الأكراد ، حيث أن الانتساب إلى طبقة معينة ، مماثل للانتساب القومي . في شرق اسيا الصغرى كان التجار الربويين والفئة البرجوازية في السابق من الأرمن ، أما الاقطاع وملاكي الأراضي فقد كانوا كردا . والمسيحي يرى في الكرد المسلمين اقطاعيين سارقين ، أما الكرد وغيرهم من المسلمين يرون في المسيحيين (الأرمن والآشوريون) -مستغلين وعملاء للأجانب . على الرغم من أن التركيب القومي في كردستان وخاصة كردستان - تركيا تغير كثيراً ، إلا أن سياسة نظام الحكم في الوقت الحاضر والتي تطبقه سياسة (الاستعمار الداخلي) تشجع المحافظة على هذه الحالة .

□ **ثالثاً** - كردستان كانت وستبقى ساحة الحركة القومية الكلاسيكية ، ويعني ذلك أن الهدف الرئيسي هو المصلحة العامة في التحرر القومي ، لذا فانها تحمل في طياتها ميزة طبقية صغيرة . الخارجين عنها أو (الذين يعادونها) ينتظمون إلى الطبقات الحاكمة للأمة السائدة أو إلى الدول الغربية الامبريالية .

سابقا ومثلما الكرد ناضلت شعوب أخرى من أجل حقوقها بصورة رئيسية الأرمن ، في الوقت الحاضر الحركة الكردية هي الطاغية ، في كردستان - التركية والسورية تعتبر الحركة الوحيدة . وفي الجزء الإيراني تجاور حركة الأذربيجانيين والأقليات الصغرى في جنوب إيران (أهمهم العرب) . في الجزء العراقي تجاور الآشوريون ولكن تأثير وسعة هذه الحركات أقل بكثير من الحركة الكردية .

وعلى هذا فإن الوضع السياسي الداخلي في كردستان الحالي ، يكونه الحركة القومية الكردية ، وهذا لا يعني بأن النضال الطبقي في كردستان ليس له تأثير كبير بل العكس ، ففي وقتنا هذا يجري على قدم وساق توزيع المجتمع الكردي إلى طبقات معينة ، وزاد الوعي الطبقي عند كافة فئاته ، إلا أن النضال الطبقي وإلى الآن يخضع لمصلحة النضال العام من أجل تطبيق

الأهداف القومية .

□ **رابعاً** . تتمتع البلدان التي تدخل كردستان ضمنها بوضع سياسي غير مستقر نتيجة للخلافات السياسية والاجتماعية الشديدة . في سوريا من عام ١٩٤٩ والى عام ١٩٧٠ ، وفي العراق من عام ١٩٥٨ والى عام ١٩٦٨ ، حدثت عدة انقلابات حكومية في النهاية جاءت الى السلطة في الدولتين جماعة يسارية من حزب البعث . في تركيا من عام ١٩٦٠ والى عام ١٩٨٠ حدثت ثلاثة انقلابات عسكرية حيث نقلت السلطة إلى يد العسكريين . في إيران ، السياسة غير المستقرة استمرت من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٣ . ربع القرن التالي كان هادئا قبل حدوث العاصفة على شكل (ثورة إسلامية) والحرب الإيرانية- العراقية المستمرة إلى الآن .

كل هذه الحوادث تجمعها بعض المميزات العامة من ناحية القضية الكردية . وهي عدم قدرة ورغبة الفئات الحاكمة (التقليدية) حل المسألة القومية (وخاصة الكردية) ، المسألة التي كانت سببا مهما للهياج السياسي في هذه الدول (عدا سوريا) هو أن كل تغير للسلطة في حكومات الشرق الاوسط يكون سببا لتعقيد جديد للمسألة الكردية . لذا فإن الحركة الكردية هي بادرة طوفان سياسي مقبل ، وتعميق لتطور أزمة العلاقات السياسية الداخلية لهذه الدول .

الملاحظ أن أي قوة سياسية تأتي إلى الحكم نتيجة للانقلابات العديدة ، وأي شعارات وبرامج وخطط سياسية يطرحونها ، لم تنجح ولو جزئيا في حل المسألة الكردية ، في العراق في السنوات العشر اللاحقة بعد إعلان ١١ اذار عام ١٩٧٠ ، البيان الحكومي الذي وعد بقيام حكم ذاتي للأكراد في البلد . ظهر أمل في تطور واقعي ولكن التطور اللاحق للأمور في داخل وخارج العراق ، اكتشف أنه من أجل حل عادل للنزاع القومي يجب قطع طريق طويل وصعب . ويفسر ذلك الطبيعة الطبقية للقوى السياسية المتناوبة على السلطة ، أي كانت سياستها الداخلية والخارجية أي مذاهب أيديولوجية استندوا ،

وعلى أي فئات من السكان اعتمدوا ـ كلهم وقفوا ويقفون على أعتاب البرجوازية القومية، وبمعنى اخر يحافظون على مصلحة البرجوازية القومية السائدة. يحسمون نزعة التطور الحر السريع بصورة فعالة وعلى الطريقة الرأسمالية لصالح قوميتهم وعلى حساب القوميات الأخرى، أو (في أحسن الاحوال) لا يأخذوهم في الحسبان، بالتالي إن نظام العلاقة السياسية والاجتماعية المتكونة في دول جنوب غرب اسيا لا تعطي أي أمل في حل المسألة الكردية في القريب العاجل. لقد تعقد النزاع أكثر، ذلك لأن التعصب القومي (الشوفيني) للأمة السائدة في كل دولة من دول المنطقة يقف مقابله التعصب القومي الذي ينمو ويقوى للأمة الكردية التي هي في طريق التكوين، وتتطلع إلى تقرير نفسها بنفسها.

ان التشاؤم في قياس الوضعية الحالية للمسألة الكردية لا نعني بأن حلها في مأزق ووصل طريق مسدود، بل إن سرعة التطور في العمليات الاجتماعية الجارية في ساحة الشرق الأوسط تثبت العكس. وهنا لا بد من تحليل دقيق ومعين للاتجاهات وخصائص هذه العمليات.

إن طبع وطراز النظم السياسية في الدول التي يعيش فيها الكرد، يملك أهمية خاصة. لكل هذه الدول ومن ضمنها التي تتمتع بمظهر الديمقراطية البرلمانية (كما في تركيا). ميزة أسلوب الحكم المتسلط حيث التعسف والاستبداد الشوفيني الذي تعاني منه الأقلية الكردية معاناة قاسية. وهكذا فان الشعب الكردي كما عاش في السابق، يظل يعيش في الوقت الحاضر في ظروف يتعذر فيها تطبيق حتى ولو بعض حقوقه القومية المشروعة. وهذا الوضع من ناحية يمنع اتساع الحركة الكردية، ومن ناحية أخرى يقوي الضغط داخل المرجل الكردستاني ويمهد الطريق لأقصى أنواع النضال (الثورة في كردستان ـ العراقية والإيرانية، والإرهاب السياسي في كردستان تركيا).

تقوية نظام محدد في هذه الدولة أو تلك، ووضعية وميزان القوى السياسية هنا وهناك، تؤثر مباشرة على مستقبل الحركة الكردية، مثلا انقلاب عام ١٩٦٠ في تركيا حسن وضع القوى الديمقراطية والمناهضة

للامبريالية (لم يحقق نجاحات تذكر) مما ساعد على نهوض الحركة القومية الكردية في البلد، بالرغم من أن القوى السياسية المتناوبة على السلطة وكذلك الأوساط العسكرية التي دخلت الحياة السياسية، واستلمت أمور السلطة لثلاثة مرات، كانت في موقف عداء للأقلية الكردية. ومع ذلك فإن الحركة الكردية في الربع الأخير من قرننا في تركيا أصبحت من الناحية السياسية والأيديولوجية والتنظيمية أكثر نضوجا[٣١]. في العراق بعد قيام الثورة ضد الامبريالية في عام ١٩٥٨، بدأت مرحلة جديدة في تطور الحركة الكردية.

قد يبدو وكأن وضعية الأقلية الكردية في هذه الدولة العربية لم يتحسن. في السابق كان الاستعمار البريطاني يتجاوز على الخلاف العربي- الكردي، وهذا ما أعطى الحركة الكردية حرية المناورة. أما بعد ثورة ١٩٥٨، فقد بدأ النزاع المباشر بين القوميين العرب والكرد. مع ذلك فإن الربع الأخير من القرن الحالي لم يكن نكوصا وتراجعا للكرد العراقيين بل تقدم في نضالهم من أجل حقوقهم القومية. القضاء على تأثير الأوساط الامبريالية في العراق بحد ذاته كان نصرا كبيرا لكل شعوب هذا البلد، وبضمنهم الكرد، الضحية الدائمة للدسائس الامبريالية.

اعتراف بغداد عام ١٩٧٠ بحق الكرد في حكم ذاتي ليس فقط محضر قانوني روتيني، بل كانت عملية اضطرارية نتيجة لنجاحات النضال الثوري الذي قادها مصطفى البرزاني ولم يطبق بنوده. وهذه أيضا مرحلة مهمة من النضال التحرري لكل الأكراد. وهذه سابقة تبين اتجاه حل المسألة الكردية وتمتلك بدون شك أهمية عالمية[٣٢].

في سوريا حتى نهاية الخمسينات لم تلعب المسألة الكردية دور يذكر. ولكن بتأثير مباشر من الحوادث الجارية في العراق الجار استيقظ الوعي القومي عند الكرد السوريين. استلام القوميين البعثيين أمور السلطة عام ١٩٦٦ وخاصة جناحه اليساري، أدى إلى تنشيط القوى التقدمية في البلد وبضمنهم بني الكرد. حيث حدث تطور إيجابي في اتجاهاتهم السياسية والاجتماعية. في السنوات العشرين اللاحقة وفتحت أمامهم افاق كانوا

محرومين منها في الماضي.

في إيران، بعد الحرب العالمية الثانية (في نهاية عام ١٩٤٦)، تم القضاء على الحكم الذاتي الكردي، وبدا وكأن الحركة القومية الكردية قد أطيح بها بعيدا إلى الوراء. لأكثر من عشرين سنة لم تستطيع الحركة إظهار نفسها جراء الظلم والطغيان الشاهنشاهي. ولكن التفجير الذي حدث في كردستان - الإيرانية إبان (الثورة الإسلامية) جدير بالاهتمام. الحوادث المهيجة الجارية الآن في المنطقة، برهنت على أن هناك ثلاث حقائق لا يمكن نكرانها:

أولا - هزيمة الحركة القومية لأكراد إيران كانت وقتية وليست مطلقة، خلال هذه السنين نضج (عنقود الغضب).

ثانيا - الاصلاحات المسماة (الثورة البيضاء) والتي طبقت في المناطق الكردية في الآونة الأخيرة، وبصورة جزئية لم تستطيع حل القضية القومية عن طريق تجميع كل القوميات وصهرهم داخل بوتقة الأمة الإيرانية تحت شعار (الله - الشاه - الوطن).

ثالثا - إن المذهب السياسي والأيديولوجي للثورة الإسلامية لا يمكن أن يكون خيارا للأقليات القومية بدلا عن النضال في سبيل حق تقرير المصير، خاصة وأن القيمة المعنوية للشيعة الإسلامية التي يدافع عنها آيات الله يولد انفعال سلبي عند الكرد السنيين وكذلك عند التركمان والبلوشيين. إن اضطهاد الحكومة الإسلامية للكرد إنما هي سياسة بلا آفاق، واستمرارها بدون شك يؤدي إلى تنشيط الحركة الكردية في إيران.

في طريق حل القضية الكردية يوجد عوائق من الصعوبة التكهن فيها الآن وفي المستقبل القريب. ولكن لا يطرح جانبا امكانية تطور إيجابي جزئي وذو صفة عابرة وموقتة وخاصة على ساحة الشرق الأوسط حيث تتغير الأمور بسرعة مذهلة.

أحد علامات التغير القادم في كردستان هو التغير الحاصل في سياسة الأوساط الحاكمة في دول الشرق الأوسط بالنسبة إلى القضية الكردية. في

السابق كانوا ينكرون وجودها ، أما الآن فهم مضطرون للاعتراف بها كحركة قومية ولو بشروط . الصفات التي كانوا يطلقونها على الحركة الكردية ، مثل الحركة الكردية تقوم بايعاز من الرجعية الاقطاعية والامبريالية وقوى أخرى ، يستعمل الآن بصورة أخف . في الأوساط القيادية للأحزاب البرجوازية ، يلاحظ خلاف حول موضوع العلاقة مع الحركة الكردية . كما أصبح من الممكن ملاحظة ظهور تباشير نهج واقعي في حل القضية الكردية .

كل هذا يدل على الأزمة التي وقعت فيها السياسة الشوفينية للأحزاب والقوى السياسية التي تمسك تقاليد السلطة في بلدان الشرق الأوسط تجاه الأقلية الكردية . وفي الوقت نفسه يكبر دور وتأثير الأحزاب التقدمية ومن ضمنها الجناح الماركسي ـ اللينيني على القضية القومية في هذه البلدان . كما تتطور الحركة القومية الكردية في وقتنا من الناحية السياسية والاجتماعية . في الأوقات السابقة كانت الانتفاضات قبلية ، ويقودها قادة اقطاعيون أو دينيون (أكثر الاحيان يجمع شخص واحد هذه الصفتين) وقليل منهم استطاع أن يحتل مركز قائد قومي ، أكثرهم كان مدفوعا بمصلحة ذاتية ، وهذه الانتفاضات كانت تنبعث بصورة عفوية وتعتمد على الأقرباء أو القبيلة المتحالفة ، وتتسع بسرعة في مساحة واسعة . وبهذه السرعة أيضا تجمد ، إما من قبل القوات الحكومية ، أو بايعاز من القادة المنتفضين أنفسهم والمتعاقدين مع السلطة . وهذه الانتفاضات لم تتحول إلى انتفاضات شعبية عارمة . بطبيعة الحال الاستفادة من هذه الحركات كانت هينة ، ولم تجلب للكرد لا الحرية ولا الاستقلال .

نضجت الحركة الكردية الحاضرة من الناحية السياسية والتنظيمية ، وأصبحت تسير مع روح العصر ، بصورة أساسية ، مضى الزمن على نظام توزيع القوى الكردية الثائرة على أساس القبيلة . وانحسر تأثير الاقطاع الأكليريكي في قيادة الحركة ، واحتل محلهم الأحزاب والقوى السياسية ، ممثلي القطاعات السياسية والاجتماعية في المجتمع الكردي المتحضر .

تمتاز الوضعية السياسية والأيديولوجية لأكثرية المنظمات السياسية الكردية في المرحلة الراهنة من التاريخ الكردي بثلاث خصائص أساسية هي: ١ ـ القومية، ٢ ـ الديمقراطية، ٣ ـ الثورية.

تحت راية ممثلي هذه الأطراف الثلاثة أمكن تجميع القسم الأعظم من المجتمع الكردي لخوض النضال من أجل المطاليب القومية. وابتعدت عن ذلك الفئة الاقطاعية الاكليريكية الضعيفة التأثير واليمينيين المحافظين والعناصر الخائنة.

الحركة الكردية الحالية بطبيعة برنامجها، تمثل المطامع القومية. ومن ناحية تركيبها الاجتماعي، هي حركة شعبية أصيلة، القوى المحركة لهذه الحركة هي كل قوى الشعب، حيث أنها تمثل مصالح المستغلين والبرجوازية الصغيرة وجماهير الكادحين. ويمكن القول بأن التركيب السياسي للحركة الكردية مشابه للبناء الاجتماعي للمجتمع الكردي، وهي سائرة على طريق الانتقال (من الاقطاعية الى الرأسمالية) وتنشط فيها الاتجاهات المعادية للامبريالية.

انعدام الطبقة المسيطرة في المجتمع الكردي المعاصر أدى إلى عدم وجود وحدة سياسية في قيادة النضال التحرري. قبل الحرب العالمية الأولى باسم الحركة الكردية كانت تعمل جمعيات نصف سياسية ونصف مستنيرة والتي كانت بعيدة عن قيادة الحركة. في ذلك الوقت كان المسيطرون وبدون نزاع هم القادة الاقطاعيين[٣٣]. بين الحربين العالميتين حاول تنظيم (خوبيون) البرجوازية القومية والمعتمدة على الغرب، أن تمثل الحركة القومية الكردية، ولكن تأثيراتها في كردستان كانت محدودة. حيث كان موقف اوساط الاقطاع القبلي قويا[٣٤]. في نهاية وبعد الحرب العالمية الثانية على قاعدة بعض المنظمات اليسارية تأسس الحزب الديمقراطي الكردستاني مع فروع له في كل من ايران والعراق وتوركيا وبعدها في سوريا. وفي الواقع لم يكن هذا حزبا بل جبهة واسعة للقوى التقدمية. والتي ضمت كل طبقات المجتمع الكردي. لعب الحزب الديمقراطي الكردستاني دورا تنظيميا مهما في قيام

الحركة الكردية بعد الحرب العالمية الثانية في ايران ، وفي الحركة القومية لاكراد العراق في الستينات والنصف الاول من السبعينات . وكان الزعيم الواقعي للحزب مصطفى البارزاني القائد الفذ الذي قاد النضال التحرري للشعب الكردي .

ولكن ظهر فيما بعد بأن الحزب الديمقراطي الكردستاني أيضا لم يكن بذاك المستوى الذي يمكنه تحقيق مطاليب الحركة القومية الكردية . لم يستطيع الحزب أن يلعب دور الطليعة الحقيقية للشعب لا على نطاق كردستان ككل ، ولا على نطاق دولة واحدة . وقد أضعفه رخاوة التنظيم والتركيب السياسي والايديولوجي الغامض ورواسب الزعامة والقبلية المنطقية . بعض السياسيين الكبار انغمسوا في الالاعيب السياسية وفي الحساب البنكي الخاص ، وأصبحوا معرضين للتأثير الخارجي وحتى الرشوة . وفي النهاية فقد الحزب تأثيره الطاغي في الحركة الكردية ، وانقسم نهائيا الى أحزاب منطقية (الحزب الديمقراطي الكردستاني - الايرانية ، والعراقية ، والتركية ، والسورية) وأخيرا انشق على نفسه عدة مرات .

في الوقت الحاضر في كل جزء من كردستان تعمل عدة أحزاب سياسية ، تمثل انعكاسا للحياة السياسية والاجتماعية في المجتمع الكردي الحالي . ومن الصعوبة ايجاد خلافات بينها في البرامج والتكتيكات السياسية ، بعض هذه الاحزاب معرضة للزوال السريع ، التمايز السياسي للحركة القومية الكردية في المرحلة الراهنة ، علامة دالة على الأزمة التي تعيشها الحركة الآن . ولكن هذه الأزمة في مرحلة تحول طبيعية للحركة الكردية ، وتجاوزها سيؤدي حتما الى الانتقال الى مرحلة أعلى وأفضل . وهناك عامل مهم يستدعي الانتباه ، وهو كون الحركة الكردية تتطور في كل أجزاء كردستان في الوقت الحاضر ، وهذا التزامن لم يلاحظ في السابق . ولكن سعة ونوعية هذا الظهور ليست متشابهة . مضى أوان الخمول والكساد المزمن الذي كان موجودا في كردستان - التركية والايرانية . كما يلاحظ نمو الوعي السياسي والطاعة والنظام ليس فقط عند الحلقة القيادية بل عند المشاركين البسطاء ، الذين بمقارنة مع السابقين لهم يتميزون بأنهم أحسن تدريبا وتنظيما من

الناحية العسكرية والسياسية والأيدلوجية .

وأخيرا في أجزاء كردستان الحالية ينمو ويكبر دور القوى التي تمثل مصالح الأوساط الثورية الديمقراطية والفئات الكادحة . بالرغم من أن الجناح اليساري من الحركة الكردية ليس منظما وموحدا . بالرغم من نشاط العناصر المتطرفة . عاجلا أم اجلا ستتجه قيادة نضال الشعب الكردي من أجل حقوقه القومية في إتجاه ثوري وديمقراطي .

○ العوامل السياسية الخارجية :

ان أحد المميزات الأساسية لعرضنا الحاضر . هو نشر روح الأممية في جميع نواحي العملية السياسية والاجتماعية وفي المقام الأول المسألة القومية . والقضية الكردية بالنظر الى الخصائص المميزة التي سبق ذكرها انما هي من أحد القضايا الأكثر أممية . المسألة الكردية كمشكلة دولية ظهرت في بداية القرن التاسع عشر . وفي القرن العشرين بعد الحرب العالمية الاولى أصبحت أكثر حيوية وذات أهمية ذاتية في العلاقات الدولية . خلال الستين السنة الماضية لحقت بالمسألة الكردية تغيرات مهمة في الوجهة السياسية الخارجية . قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية يمكن استخلاص ثلاث مواقف أساسية في المسألة الكردية : موقف الاتحاد السوفييتي . موقف الدول الامبريالية . بصورة رئيسية انكلترا وفرنسا . وموقف حكومات الشرق الأوسط المستقلة . تركيا وايران .

انطلق الاتحاد السوفييتي دائما من مواقفه المبدئية في دعم واسناد الحركات التحررية القومية للاقليات في مصلحة السلام والاشتراكية . فقد كان الاتحاد السوفييتي مؤيدا لحل المسألة الكردية في دول الشرق الأوسط حلا ديمقراطيا وعادلا وفي أمثل نوع تطبيقا للظروف الملموسة بحيث يؤدي الى اضعاف تدخل الدول الامبريالية التي تحاول اشعال نار النزاع في المناطق الكردية الملاصقة لما وراء القفقاس .

اما موقف الدول الاستعمارية الغربية من القضية الكردية فقد كان

متناقضا . بعد توكيل رابطة الامم العراق وسوريا مع سكانها الاكراد لكل من انكلترا وفرنسا . حاولت الاثنتان استغلال الحركة الكردية لتقوية وتوسيع مواقعهما الاستعمارية في هذه المنطقة . وتكوين رأس جسر في كردستان لتهديد الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي والضغط على تركيا وايران اللتان حاولتا عدم الاعتماد على الدول الغربية . إن الدعم والاسناد الانكليزي والفرنسي لبعض الحركات الكردية في تركيا وايران لم تجلب للأكراد غير الهزيمة . بالنسبة الى اكرادالعراق وسوريا فقد كانت سياسة السلطات الاستعمارية التنكيل والاضطهاد بهم . كما حاولوا وضع الحركة القومية الكردية في هذه البلدان في موقف معاد للقومية العربية .

جاهدت الحكومات التركية والايرانية في سبيل تقوية سيادتهما ورفع هيبتهما الدولية . وعملتا من أجل أن لا تكون مشاكلهم الداخلية ذريعة للتدخل الاستعماري في شوونهم الداخلية . وهكذا فقد ولد موقفا متناقضا تماما . حيث أن السياسة الامبريالية للدول الغربية في علاقتها مع دول الشرق الاوسط السائرة على طريق التطور الذاتي ، كانت مشجعة للسياسة الشوفينية تجاه القضية الكردية من جهة ومن جهة ثانية استغلت هذه الدول التدخل الاجنبي لزيادة التنكيل والاضطهاد بالاقلية الكردية . كما كانت هناك نزاعات بين تركيا وايران على المناطق الكردية الحدودية بينهما والتي تلعب دورا عسكريا استراتيجيا . وهذه نزاعات تاريخية[٣٥] . أما بالنسبة الى سوريا والعراق فان موقفهما في ذلك الوقت من القضية الكردية لم يكن له أهمية تذكر ، حيث أن سوريا لم تكن تملك السيادة الوطنية ، أما العراق بالرغم من أنه من الثلاثينات امتلكها ، فانه ظل مرتبطا بانكلترا .

بعد الحرب العالمية الثانية لم تتغير المواقف المبدئية لتلك الأطراف من ناحية القضية الكردية . ولكن ازداد عدد الأطراف ذو المصلحة ، وحدث بعض التغير في تأثير الأطراف السابقة وبواعث سياستهم في المسألة الكردية . من جانب الغرب أصبحت الولايات المتحدة الامريكية تلعب الدور الرئيسي ، وضعف تأثير انكلترا وفرنسا . في الوقت نفسه تقوى نفوذ تأثير الاتحاد السوفييتي في كل جنوب غرب اسيا ، وأخيرا أصبح للعراق وسوريا

الحائزتان على استقلالهما ، صوت في المسألة الكردية .

كردستان في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تملك أهمية عسكرية استراتيجية واقتصادية . وكان دور كردستان في السياسة الأمريكية مختلفا . طالما أن الدول التي تقاسمت كردستان تسير في ركاب السياسة الأمريكية ، وتدخل في ركاب حلف بغداد المؤسسة التي أرسى أسسها الغرب ، (ومنذ عام ١٩٥٨ حلف الناتو) ، فإن أمريكا لم تكن بحاجة لكي تضع كردستان غاية بذاتها ، وكانت لها مصلحة في بقاء الحركة القومية الكردية غير مؤثرة وفعالة لكي لا تزعزع النظم الرجعية الموالية للغرب في كل من تركيا وايران والعراق . قياسا بالمدى التي استحوذت العمليات الثورية على دول منطقة غرب اسيا ، بدأت أمريكا ترى في المسألة الكردية أداة مهمة للتأثير في السياسة الداخلية لهذه الدول .

بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ في العراق والتي أدت الى خروج العراق من حلف بغداد ، وبعد تفاقم القضية الكردية في هذا البلد ، غدا التحايل على الحركة القومية الكردية من أحد القضايا المهمة في السياسة الدبلوماسية الامريكية في منطقة الشرق الأوسط .

علاقة انكلترا بالقضية الكردية كانت تمتلك بواعث مشابهة . مقارنة مع أمريكا كانت لانكلترا التي حاولت الحفاظ على مواقفها الامبريالية ، أفضلية وتفوق ، حيث أنها تمتلك تجربة واسعة في حياكة الدسائس السياسية والأعمال التخريبية . ولها جذور عميقة منذ وقت الاحتلال الاستعماري في كردستان ـ الايرانية والعراقية ، بين الأوساط العليا للأكراد ، لما كان هناك كوادر يعملون بايعاز ومال انكليزي . ولكن الأمريكيين كانوا يفوقون الانكليز بقوتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية . لذا توجهت النظم الرجعية في المنطقة أواسط الخمسينات صوب أمريكا . بدون شك الكلمة الأخيرة في السياسة الغربية تجاه المسألة الكردية تعود الى أمريكا .

في الوقت الحالي الاهتمام الخاص للدول الغربية الأخرى ينبع من الناحية الاقتصادية ، الشركات الانكليزية والهولندية واليابانية والألمانية الغربية

والايطالية والفرنسية لا يزالون يحتفظون بمصالحهم النفطية في العراق وايران.

وعلى هذا من الممكن الكلام عن السياسة المشتركة للامبريالية الغربية التي تلعب فيها أمريكا الدور الرئيسي حول المسألة الكردية.

ما هي الأهداف الملموسة وافاق تطورات هذه السياسة. وأسلوب تحقيقها؟

الحركة الكردية، كأي حركة قومية في الخطط الآنية والمستقبلية للدول الغربية، تلعب دورا وظيفيا، وعليها أن تعمل من أجل الحفاظ على مواقعهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية في منطقة جنوب غرب اسيا ويستنتج من ذلك: أولا. مساعدة بعض الحركات الكردية مشروطة (الحاق الضرر بالأنظمة غير الصديقة). ثانيا. محاولة تقوية واجتذاب القوى القومية اليمينية في كردستان إلى مسار الدول الغربية (خاصة العناصر المنبثقة من العوائل الاقطاعية القبلية السابقة والبرجوازية الكمبرادورية). مستغلين الخصائص التالية للسياسة الخارجية في منطقة الشرق الأوسط: النزاعات الحادة في العالم العربي، العقلية المتطرفة للأوساط الاسلامية في الدول غير العربية (مثلا ايران الحاضر)، في العلاقة مع اسرائيل (محاولة ايجاد التعاون السياسي والعسكري بين اسرائيل والاكراد)، الخلافات الحادة والمتعاقبة بين بعض الدول العربية وخاصة بين سوريا والعراق (مستخدما الحركة الكردية في كل منهما لتقوية الانشقاق ووضعه في خدمة مصالح الغرب)، النزاعات بين الدول العربية وغير العربية مثل النزاع الحالي بين العراق وايران، بالنسبة إلى النزاع الأخير فان «الورقة» الكردية للغرب تمتلك أهمية استثنائية.

استغلال الغرب للرغبة المشروعة للشعب الكردي في الحرية والاستقلال، محدود في اطار ضيق. في الواقع أمريكا وبعض دول أوروبا الغربية مستعدة لمساندة حركة الشعب الكردي ولكن ليس هي هدفها النهائي. أن الاستقلال القومي الذي في الوضع الحالي لا يمكن أن يخدم مصالح الغرب، وذلك لأنه في ظروف العملية الثورية المستمرة فإن الحظ قليل في أن تكون كردستان

ذات الحكم الذاتي أو المستقل ، سائرة في ركاب الغرب . وحسب مفهوم الدول الغربية فانه من الخطر الذهاب كثيرا في مساندة النضال التحرري للكرد . ومن هنا الاستنتاج القائل ، إن سياسة أمريكا وحلفائها في المسألة الكردية ليست لها مستقبل ، فهم لا يستطيعون تقديم برنامج سياسي يكون مقبولا عند الحركة الكردية . كما لا يمكن الانطلاق من موقف ديمقراطي ، نظرا للطبيعة الطبقية للامبريالية ، أما الانطلاق من الموقف الاستعماري الجديد فهو خطر ، حيث أن أي تغير للخارطة السياسية في المنطقة مشحون بمخاطر غير مستحبة . وعلى هذا فإن السياسة الغربية في المسألة الكردية هي دسائس دنيئة ، حيث لا يمكن أن تأتي بثمار للمدى البعيد .

الموقف المبدئي للاتحاد السوفييتي في المسألة الكردية في المرحلة الراهنة بقي على طبيعته ، كما أن الوضع بعد الحرب العالمية أدخل عناصر جديدة في الموضوع . فاذا كانت العلاقة قبل الحرب بين الاتحاد السوفييتي وتركيا وايران علاقة صداقة وحسن الجوار ، فانهم لاحقا (والعراق أيضا) دخلوا المدار الامريكي وأصبحوا أعضاء في أحلاف سياسية عسكرية ضد الاتحاد السوفييتي ، وبهذا فإن الاراضي الكردستانية في أي وقت ، كان من الممكن أن تصبح منطقة مهمة من الناحية الاستراتيجية موجهة ضد الاتحاد السوفييتي . يوثر في السياسة السوفييتية من ناحية المسألة الكردية ، المصلحة العامة في الحفاظ على السلام والاستقرار قرب حدوده الجنوبية ، وتقوية العلاقات حسب الامكان مع دول الشرق الأوسط . وكبرت هذه المصلحة في السنين الأخيرة نظرا لتوتر العلاقات الدولية وخاصة في منطقة الشرق الأوسط ، المنطقة التي بالاضافة إلى المشاكل القديمة (في فلسطين) ظهرت مشاكل أخرى مثل الثورة الاسلامية في ايران ، التي هيجت كردستان الايرانية أيضا ، والأزمة السياسية المستمرة في تركيا والتوتر الشديد في كردستان - تركيا ، والتي أدت إلى انقلاب أيلول عام ١٩٨٠ ، وأخيرا الحرب الايرانية - العراقية . كما نشط الحركة الكردية وأدخل فيها بعض العناصر المعقدة الجديدة .

ان خطط السياسة الخارجية لدول منطقة الشرق الاوسط والتي لها علاقة لمسألة الكردية في فترة ما بعد الحرب العالمية . تمتاز برد فعل سلبي مائل تجاه المطاليب المشروعة للاقلية الكردية . ويعكس ذلك التضامن بين كومات المنطقة في سحق الثورات الكردية التي وقعت في حدودهم دولية . ان كل الحكومات والاحزاب الرئيسية لهذه الدول . كانت تنطلق من وقف عدائي صريح تجاه المطاليب القومية الكردية من أقصى أنواعها لمتمثلة في استقلال كردستان إلى أدناها التي هي الحكم الذاتي ، والاخير ضا صيغة سياسية للتحضير لذلك الاستقلال .

في الوقت الحاضر تحتل المسألة الكردية جانبا مهما من السياسة داخلية لهذه الدول . حيث تستغل في النزاعات الاقليمية التي تحدث بينهما بالشكل الذي لا يأخذ المصلحة الكردية نفسها في الحسبان .

علاقة النظام الشاهنشاهي بالحركة الثورية لاكراد . العراق المندلعة نام ١٩٦١ إلى عام ١٩٧٥ ، هي مثال ساطع على استغلال المسألة الكردية ن أجل أهداف سياسية خارجية . كانت الساحة الايرانية كل هذا الوقت اعدة تموينية لمحاربي البارزاني . حيث كانوا يستلمون الذخائر العسكرية المواد الغذائية من هناك . ان الدعم (الضيق الحدود) الذي قدمته السلطات شاهنشاهية للثورة الكردية في العراق . كان يقدم من أجل الضغط على حكومة العراقية حيث كانت لها مع الاخيرة . مناطق متنازعة عليها في شط العرب) . كما أن طهران كانت تتهم العراق بمساندة الحركة القومية عربية في خوزستان . ومن جهة أخرى أرادت طهران أن تفرض على حركة الكردية في العراق وايران السير في ركب السياسة الغربية . ولكن عد أن قدمت بغداد من أجل أهداف تكتيكية والتي أثبت لاحقا ، تنازلات لايران ي قضايا الاراضي المتنازعة عليها (الاتفاقية المنعقدة في الجزائر مارت عام ١٩٧٥) . أغلقت السلطات الايرانية الحدود مع العراق ، وأخبر الاكراد لعراقيين انهاء المقاومة .

ان النزاع العسكري المنبعث في أيلول عام ١٩٨٠ بين العراق وايران

أظهر من جديد الدور الوظيفي للمسألة الكردية في العلاقة بين الدولتين، حيث قامت كل من بغداد وطهران بحملة دعائية بين السكان الكرد والمنظمات السياسية الكردية ضد الجهة الأخرى.

المسألة الكردية كانت وستبقى دائما جزء مهم في العلاقة العراقية- السورية، والعراقية- التركية. في الحالة الأولى تستعمل في المنافسة بين الدولتين والحزبين الحاكمين (القيادة القطرية السورية والعراقية للبعث)، وفي الحالة الثانية فهي تلعب دورا معاكسا حيث تقرب بين الدولتين على أرضه العمليات المشتركة ضد الكرد. أما بالنسبة الى العلاقة التركية- الايرانية فهي لا تلعب دور يذكر، ولكن الانفجار الحالي في كردستان- الايرانية قد يؤثر على هذه العلاقة.

هذه هي الصفات المميزة الأساسية للسياسة الخارجية المتعلقة بالقضية الكردية. حسب مقياس توسع وتطور الحركة القومية الكردية، وهذه واقعة بدون شك سيقوى وضعها الدولي ليس فقط في المنطقة وانما على المستوى العالمي.

★ ★ ★

كل ما سبق ذكره أعلاه كان تحليلا عاما للعوامل الرئيسية المكونة للقضية الكردية في مرحلة تطورها الحاضرة. وهناك وجهة أخرى للقضية وهي متعلقة بالثقافة والايديولوجية، وقد سبق ذكرهما بصورة مختصرة، وتمتازان بصفة خاصة تحتاج الى دراسة خاصة محددة. وهنا نذكر فقط بأن تطور الثقافة والايديولوجية القومية الكردية في النهاية متعلق بنجاحات وإخفاقات الحركة القومية.

ان العوامل الأساسية الدافعة للقضية الكردية تتصف بالتعقيد وصعوبة الحل في الظروف الحالية، ولكن هذا لا يعني أنه من الضروري تركه للمستقبل.

○ الهوامش :

١ - القوميون الاكراد يقدرون مساحة كردستان بحوالي ٤٧٥ ألف كيلو متر مربع يقع في تركيا أكثر من ٢٢٥ ألف كيلو متر مربع ، في ايران ١٦٠ ألف ، في العراق ٧٥ ألف ، وفي سوريا ١٥ ألف كيلو متر مربع .

٢ - احتياطي النفط المستكشف في كركوك ٣ . ٢ مليار طن ، نصف كل احتياطي العراق (بورشتوف م . س . ولقوف م . س . جغرافية وجيولوجيا النفط والغاز في الاتحاد السوفييتي والدول الاجنبية . موسكو . سنة ١٩٧٩ ، صفحة ٢٧٣) .

٣ - كيراسيموف و . النفط العراقي ، موسكو ١٩٦٩ ، صفحة ٩٦ .

٤ - زيفاروف ف . الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية العراقية (١٩٥٨ - ١٩٧٦) . موسكو . سنة ١٩٧٩ ، صفحة ٦٣ .

٥ - Les Kurds et le Kurdistan. P.1978. C.72. كل الارقام الواردة عن أعداد وأقوام سكان كردستان لا تعتمد على الاحصائيات الرسمية التي تعكس الاتجاهات الشوفينية وتخالف الواقع ، بل على بحوث الاخصائيين وتقديراتنا الخاصة أخذا بعين الاعتبار العملية الاثنوديموغرافية في المنطقة .

٦ - Vanly I.Ch. Le Kurdistan Irakien Entite Nationale. Neuchatel. 1970. C.31.

٧ - أتباع هذه الطائفة يسمون أيضا (على الاهي) أو بصورة غير صحيحة العلويين . في تركيا يسمون - كيزيلباشين .

٨ - أنظر مثلا : ماكينزي د . ن . الكرمانجين ، الاكراد والكورانيين - شعوب اسيا وأفريقيا ، سنة ١٩٦٣ ، رقم ١ ، صفحة ١٦٣ - ١٦٤ .

عدد الكرد الناطقين بهذه اللهجات غير معروفة . حسب إحصائيات قبل ٢٥ سنة ، في تركيا كان عددهم أكثر من مليون ، في إيران ٦٥٠ ألف ، في الوقت الحاضر من الممكن أن الرقم ضعف ذلك . أنظر بليايف ي . ا . الطوائف الاسلامية (دراسات تاريخية) . موسكو . سنة ١٩٥٧ ، صفحة ٨٤ . شباز نيكوف ك . ا . أديان دول غرب اسيا . موسكو . سنة ١٩٧٦ ، صفحة ٢٤٢ - ٢٧٤ ، ٣٠٤ .

٩ - أنظر نيكيتين ف . ب . الاكراد ، موسكو ، سنة ١٩٦٤ ، صفحة ٣٢٤ - ٣٢٥ .

١٠ - شبازنيكوف كك . ا . اديان دول غرب اسيا . صفحة ٣٠٢ - ٣٠٣ .

١١ - نيكيتين ف . ب . الاكراد . صفحة ٣٠٥ .

١٢ - أنظر مثلا :

Les Kurdes et le Kurdistan. C.158.

Vanly I. Ch. Le Kurdistan Irakien.... C.30-31

على جميع الخرائط الصادرة من قبل الاوساط القومية الكردية محافظتي لورستان وبختياري الايرانيتين تدخلان ضمن منطقة كردستان .

١٣ - عدم اشتراك اللور في الحركة القومية الكردية يعتبر في العلم الغربي حجة لعدم احتساب اللور اكرادا أنظر مثلا :

Derk Kinnaue. The Kurdes and Kurdistan. L..: 1970. C.2.

أما بالنسبة إلى البختيار فان أكثر الأراء قطعية يعود بيتسكي ف . ف . (... الأكراد والبختيار - شعبين مختلفين لا يشبهون بعضهم لا باللغة ولا بالظروف الحياتية المعيشية . وحتى بترتيب الملامح يلاحظ اختلافا) .

(تربيتسكي ف . ف . البختيار (القبائل الايرانية الساكنة والرحالة) . موسكو ، سنة ١٩٦٦ ، صفحة ٢٦) . ولكن هذا المولف نفسه يذكر التقارب القومي الشديد بين البختيار واللور . (المصدر نفسه ، صفحة ٢٦ - ٢٧) . واللور بكل الدلائل القومية قريبين جدا من الاكراد . وعلى هذا أمامنا حلقة قومية غير منقطعة : الاكراد - اللور - البختيار . أما نيكيتين ف . ب . فهو أكثر حذرا : « باللغة ، ومن بعض النواحي الاخرى ، الدين (الشيعة ، على الاهي) هولاء الاكراد الساكنين جنوب الشرق (يقصد اللور والبختيار) يختلفون عن العامة ولكنهم يحسبون نفسهم من ذلك العرق أيضا : نيكيتين ف . ب . الاكراد ، صفحة ٩٣ .

١٤ - بروك س . ي . سكان العالم ، صفحة ٤٤١ .

١٥ - Les Kurdes et le Kurdistan. C.72-73. 158. 230-231. 309.

١٦ - Les Kurdes et le Kurdistan. C.73.

١٧ - حسني ع . ج . المشاكل الديموغرافية لكردستان - العراق موجز أطروحة الدكتوراه ، موسكو ، سنة ١٩٧٢ ، ص ١٣ .

١٨ - Vanly I.Ch. Survey of the National Question of Turkish Kurdistan with Historical Background. Roma, 1971. C.6.

١٩ - في المصدر السابق نفس الصفحة .

٢٠ - حسني ع . ج . المشاكل الديموغرافية لكردستان - العراق صفحة ١١ .

٢١ - المصدر السابق .

٢٢ - Vanly I.Ch. The Kurdish Problem in Syria (6.M.). 1968. C.10-12.

٢٣ - Vanly I.Ch. Survey of the National Question of Turkish Kurdistan.... C.35.

٢٤ - المصدر السابق ، صفحة ٣٦ - ٣٧ .

مواقع وزارة الثقافة

٢٥- Les Kurdes et le Kurdistan, C.166.

٢٦- المصدر السابق، صفحة ٢٥٩-٢٦٠.

٢٧- المصدر السابق، صفحة ٢٦١-٢٦٣.

٢٨- المصدر السابق، صفحة ٧٧.

٢٩- المصدر السابق، صفحة ١٦٤.

٣٠- المصدر السابق، صفحة ١٦٦.

٣١- أنظر: كاسراتيان م.ا. وضع الأكراد في تركيا الحديثة- المسألة القومية في دول الشرق. موسكو، -١٩٨٢.

٣٢- أنظر. اشيريان ش.ج. الحركة الديمقراطية القومية في كردستان- العراقية (١٩٥٨-١٩٧٠). يريفان- سنة ١٩٧٧.

٣٣- أنظر: لازاريف م.س. المسألة الكردية. موسكو، سنة ١٩٧٢. صفحة ١٤٤-١٤٨. جليلي جليل. أوائل المنظمات السياسية والاجتماعية الكردية في عهد سيادة تركيا الفتاة -مجموعة اللغات التركية، سنة ١٩٧٣، موسكو، ١٩٧٥.

٣٤- نيكيتين ف.ب. الأكراد. صفحة ٢٩٤-٢٩٥.

Safrastian Arshak. Kurds and Kurdistan. L., 1948.

٣٥- أنظر: مواد في دراسة الشرق. مجلد ٢. سنة ١٩١٥، لازاريف م.س. المسألة الكردية، صفحة ٢٨٤-٢٨٩، ٣٩٠-٣٩١.

صفوالتلفدى كتبت

○ سطور عن الكاتب والكتاب :

- ولد البروفسور لازاريف في مدينة موسكو عام ١٩٣٠ من عائلة مناضلة ، شارك معظم أفرادها في ثورة أكتوبر العظيمة .
- اختص في القضايا القومية لشعوب الشرق عموماً ، وقدم دراسات وأبحاث قيمة لقسم الشرق بكلية التاريخ - جامعة موسكو ، تناول فيها النضال الذي تخوضه شعوب الشرق من أجل الاستقلال القومي والوطني ضد القوى الاستعمارية والاضطهاد والعنصرية .
- له عدة كتب ومقالات حول القضية الكردية ، من أهمها كتاب (القضية الكردية في أعوام ١٨٩١ - ١٩١٧) .
- الكرد و كوردستان - عوامل تكوين المسألة الكردية - فصل كتاب جديد للمؤلف صدر عن دار النشر (العلم) لسنة ١٩٨٦ ، تحت عنوان (المسألة القومية في دول الشرق المتحررة) ، وقد قامت بترجمته منظمة الشبيبة الاشتراكية الكردستانية / فرع الاتحاد السوفييتي ، وتكتسب هذه الدراسة أهميتها لكونها تأخذ بالتحليل العلمي الجوانب المختلفة التي تؤثر وتتأثر بالقضية الكردية وآفاق المستقبل ، أمام النضال التحرري للشعب الكردي .